وللانزياح جذر لغوي آخر وهو (ز،و،ح)**، وقد زاح يَزُوح زَوحاً وزَوَاحاً، وزاحَ الشيءَ ــ وهو متعد هنا ــ أزاله، تقول: "زاحَ الستارَ"، وأزاحَ يزيحُ إزاحةً، وتقول: "أزاحَ اللثامَ عن وجهه": نحَّاه، وانزاحَ ينزاحُ انزياحاً، وتقول: "انزاح عن مقعده للضيف": تنحَّى وتباعدَ، "انزاح المرض عن فلان": زالَ وانكشفَ(٥).

أما الانزياح ــ اصطلاحاً ــ Ecart بالفرنسية وDeviation بالإنجليزية***، فقد لا يبتعد كثيراً عن أصله اللغوي ولعل الرابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي هو استخدام

احوال معنوية اخرى كما في الحديث المذكور انفا/١٠.

ومفهوم الانزياح متصل بمعرفة ما ينقل الكلام من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية وذلك بتصرف "مستعمل اللغة في هياكل دلالاتها وأشكال تراكيبها بما يخرج من المألوف"(٣)، بذلك فـ"الانزياح اختراق مثالية اللغة والتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي، بحيث يفضي هذا الاختراق إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف أو المثالي، أو إلى العدول في مستويي اللغة الصوتي والدلالي عما عليه هذا النسق"(٤)، وإذا كانت اللغة الأدبية عموماً تتخذ الانزياح وسيلة لإضفاء الشعرية على تعبيراتها "فلغة الشاعر هي خروج تلقائي للكلام عن المعيار اللغوي الشائع مطاوعة لحاجات نفسية وجمالية"(٥)، فالمألوف والمثالي والنسق والمعيار كلها مفاهيم لا بد من التعرف عليها قبل معرفة ماهية الخروج عليها أو خرقها، لذا وجد جان كوهين jan cohen في النثر ــ بوصفه معياراً ــ مقابلاً للشعر لقياس الإنزياحات الحاصلة فيه، التي يقِلُّ ــ حسبه ــ وجودها في نثر العالِم؛ لأنه أقلُّ اهتماماً بالأغراض الجمالية(٦)، وأنه يكتب في درجة الصفر على حد تعبير رولان بارت(٧) R. Barthes؛ أي التعبير غير المتأسلب (styleless Expression).

وتبقى لكل كاتب لغة خاصة يمكن تصورها، ويطلِقُ عليها بيير جيرو Pierre Guiraud نسقاً خاصاً، فيقول: "نقول (نسقاً) على اعتبار أن العلاقات هي التي تحدد الكلمات، ونقول (خاصاً) على اعتبار أن شبكة العلاقات هذه خاصة بلغة النص، وهي تختلف، قليلاً أو كثيراً، عن شبكة العلاقات في اللغة العامة. هذه الانزياحات تشكلُ قيماً أسلوبيةً هي مصدر نشوء الآثار الخاصة"[٢]، ويسمي ريفاتير Michaael Riffaterre هذا المعيار بـــ(السياق اللغوي) حسب تقسيماته[٣]. ويقترح شكري عياد لهذا المعيار مصطلح (النسق) مبقياً على مصطلح السياق للمعنى العام أي السياق الخارجي وسياق المقام فلا يكون هذا النسق مبنياً على اللغة المعيارية بل يكون نظاماً اطردَ عليه النص حتى أصبح القارئ يتوقع عودته[٤]، إلا أن هذا المعيار يعد معياراً داخلياً للانزياح، ترصد من خلاله الانزياحات الداخلية التي تُعدُّ مصدراً للشعرية، كما يلغي إشكالية الأخذ بالمعايير المتعددة على رأي كمال أبو ديب[٥]، وعلى العكس منه يرى صلاح فضل أن مصطلح القاعدة لا ينبغي استخدامه مع المعيار الداخلي مما يجعل الانزياح الداخلي غير متوافق مع مفهوم الدراسات الأسلوبية، أما المعايير الأخرى فتجتلب من خارج النص لمعرفة انزياحاته الخارجية[٦].

إن مصطلحَ الانزياح أو الانحراف حديثٌ قياساً بعمر النقد، إلا أن مفهومه ضاربٌ في القدم، ففي الفكر الغربي قديماً، يعود هذا المفهوم إلى أرسطو الذي يرى، في اللغة الشعرية، أن استخدام الكلمات غير المشاعة ووسائل التعبير التي تبتعد عن كل ما هو شائع من شأنها أن تمنح هذه اللغة طابعاً مميزاً وبعيداً عن الركاكة[٤]. فالابتعاد عن وسائل التعبير الشائعة وغير المشاعة هو مفهوم الانزياح بعينه[٥]، ولا يكاد كلام في الشعر يخلو من هذا المفهوم؛ لأن الانزياح مرتبط بمفهوم الشعرية، والشعرية بالشعر على مبدأ المحايثة، لكون الشعرية علماً موضوعه الشعر[٦]؛ كان لا بد من أن يمس كلامُ النقاد مفهومَ الانزياح من بعيد أو قريب، يطلقون عليه مصطلحات تقترب قليلاً أو كثيراً من مصطلح الانزياح، ومن هذه المصطلحات: الإغراب ــ التغيير ــ التخييل ــ الاتساع ــ الالتفات[٧] ــ الإبداع والابتكار والاختراع ــ العدول ــ الانحراف ــ التحريف ــ الخروج ــ اللحن[٨].

بالسبق إلى المعاني المبتكرة، وفي حديثهم عن السرقات الشعرية والضرورات الشعرية، ثم في نظرتهم إلى الإعجاز القرآني ونظرية النظم عند الجرجاني التي تأسست على غرار تلك النظرة، والتي ترى أن في عملية التأليف إجراءات انزياحيةً كثيرة، من رتبية واختزالية وتوسعية، وظيفية وعلائقية ورمزية[١]، مما يجعل الكلامَ مؤثراً ومعجزاً.

كما يظهر مفهوم الانزياح في تضاعيف كلامهم عن اللفظ والمعنى، ومن ذلك مقولة الجاحظ المشهورة "المعاني مطروحة في الطريق"[٩]، فالعبرة ليست في المعاني نفسها بل في طريقة أدائها على غير ما تواضعت عليها اللغة المألوفة. كما يظهر هذا المفهوم في اهتماماتهم

أما في النقد الغربي الحديث فإن مفهوم الانزياح قد تواردَ في كل العصور التي تلت أرسطو، حتى جاءت الرومانسية لتثور على القواعد المتزمتة كلها في الأدب عامة والشعر خاصة، وعلى رأسها وردزورث وكولريدج Wordsworth and Coleridge، اللذان يعملان على جعل اللغة غريبة، وذلك بأن يخلع أحدُهما الغرابة على المألوف ويجعل الآخر المدهش أليفاً، "وكل حركة جاءت بعدهما كانت لها ذات الخطة [كذا]: أن تزيل كل استجابة آلية، أن تروج لتجديد اللغة و(ثورة الكلمة)، وأن تسعى إلى إدراك أرهف"[٢] ومن هذه الحركات مقولة بوفون (Buffon) الشهيرة: "الأسلوب هو الرجل" التي تؤوّل بالحقيقة التي تعُدُّ الأسلوب انزياحاً[٣]. إلا أن القائل الحقيقي الذي صدرت عنه مقولة الانزياح إنما هو بول فاليري Paul Valery[٤] الذي يرى أن كل إنتاج من منتجات اللغة يحوي آثاراً أو عناصر مميزة، "فعندما ينحرف الكلام انحرافاً معيناً عن معايير التعبير المباشرة، أي عن أقل طرق التعبير حساسية، وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما إلى دنيا من العلاقات متميزة عن الواقع العلمي الخالص، فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذة، ونشعر بأننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة قد يكون قادراً على التطور والنمو، وهو إذا ما تطور فعلاً واستخدم ينشأ منه الشعر من حيث تأثيره الفني"[٥]، فالإشارة منه واضحة في تفريقه ومقارنته بين النثر (التعبير المباشر) والشعر (الكلام المنحرف)، والأوضح من تلك الإشارة تشبيهه النثر بالمشي والشعر بالرقص[٦]، إذ إن كلاً منهما حركاتٌ تستخدمُ فيها الأيدي والأرجلُ إلا أن هذه الحركات وسيلةٌ للوصول إلى هدف معين في المشي وغايةٌ جمالية في الرقص، وكذا النثرُ والشعرُ فكلاهما لغةٌ تستخدم فيها الكلماتُ إلا أن هذه اللغة وسيلةٌ لإيصال بحت في النثر وغاية شعرية في الشعر.

وممن عمق فكرة الانزياح ليو سبتزر الذي بدأ "بالعثور على الانزياح في الأسلوب قياساً على الاستعمال الشائع، ثم تقديره واعتباره [كذا] سمة معبرة، ثم الملاءمة بينه وبين روح الأثر الأدبي وطابعه العام. ومن ثم ينتهي إلى استنباط الخصائص الفردية للعبقرية المبدعة ومنها إلى تحديد نزعة عامة من نزعات العصر"[1]، فَتَتَبُّع الانزياحات وقياسها بالاستعمال الشائع واستنباط الخصائص الفردية هو تحقيق لمفهوم الانزياح على الواقع التطبيقي.